

الفصل الرابع عشر

القدمان

عند أبعد نقطة عن الرأس تقع قوس القدم الأكثر بشريةً في جسمنا. إذا كنا نتشاطر باقي البنى والأعضاء، بما فيها الدماغ، مع مخلوقات أخرى، فإن قوس القدم لدينا تشكّل ضمانةً فريدة من نوعها لاستقامتنا، ومع ذلك لا تحظى منا سوى بالقليل من الاعتراف والاهتمام. تبوح الطريقة التي نتعامل بها مع أقدامنا، بأسلوب حياتنا. طوال تاريخ تطورنا ونحن على تماس واتصال جلدي مباشر مع الأرض، مع ذلك رحنا نتجنبه منذ بضعة قرون، ولم يعد المشي حافياً يؤدي سوى دور ضعيف ومقتضب في بداية التطور الفردي، ويكشف الميل اللاحق إلى انتعال الأحذية ذات الكعب العالي عن النية اللاواعية في الابتعاد عن أمان الأرض قدر الإمكان، والحق أن النساء بانتعالهن الأحذية عالية الكعب، تتحمّلن بعض الأمور بهدف انتشار عقاب أخيل، موطن ضعفهن، من منطقة الخطر (الحية). علاوةً على ذلك يوحي الابتعاد عن الأرض بالأناقة التي يُدفع ثمنها أضراراً ناجمة عن فقدان الأصالة والارتباط بالأرض.

إن حشر القدمين في أحذية شديدة الضيق، وصولاً إلى العادة الصينية القديمة السيئة المتمثلة في إعاقة نمو القدمين عن طريق لفهما بعصابات قاسية، تلقي ضوءاً خاصاً على التعذيب الي نسومه لـ "جذورنا"، ولا يزال هذا الميل إلى الأقدام الصغيرة موجوداً إلى اليوم، مما يفسّر ما نراه أحياناً من انتعال الأحذية الضيقة بالقوة. لا شك في أن التشويه المقصود للجذور، سواء في الصين القديمة أم عندنا، يتعارض مع الميل إلى العيش على قدمين كبيرتين⁽¹⁾ بالمعنى المجازي. الجذور القوية أساس الحياة الناجحة، فإذا أسرها المرء في سجن ضيق اضطر إلى دفع ثمن ذلك غالياً.

بموجب قانون "كما في الأعلى كذلك في الأسفل" نجد على أخص القدم صورة للجسم بكامله على شكل مناطق انعكاسية، حيث تقع مناطق الرأس في

١- بمعنى العيش في ترف ورفاهية. - المترجم.

ناحية الأصابع، ومن المفترض أن تعذيب مقدّم القدم داخل الأحذية الضيقة يطابق ما نلاحظه من ارتفاع سريع في معدّل الشكوى من الصداع وآلام الرأس. هكذا فإن ما يُسمى الثقافات البدائية التي لا يتنقّل فيها المرء إلاّ حافي القدمين، لا تعرف آلام الرأس ولا عادة تصديع الرأس أو خبطه بالحائط طلباً للمستحيل.

إن القدرة على إيجاد موطئ قدم في الحياة وإرساء دعائم وجودنا فيها تبين مدى حاجتنا إلى جذورنا ومدى سخر وعبت ازدهائها والاستخفاف بها. فالثبات والاستقرار والدأب والمثابرة والصبر، كل هذه الخصال تنبثق عن جذورنا وتتيح لنا الصمود في الحياة. صدق هيرمان فايدلنر حينما قال إنّنا مجتمع مريض بالقدمين يخوض خطر اهتزاز الأرض تحت قدميه، لأنه لم يعد يشتغل ويهتم سوى برأسه. لكل بناء أساس، ولكل زعم قاعدة يستند إليها، ويقوم فهم العالم بصورة لا تقبل الجدل على التماس مع الأرض والاتصال بها. تقول اللغة الشعبية: حيث يضغط الحذاء تكمن المشكلة الحقيقية.

تتكوّن القدم السليمة عند الشخصية المستقرة والمتوازنة من قوس مزدوجة مع جسرين اثنين وثلاث نقاط تماس مع الأرض. تستند القوس الأمامية الصغيرة على نقطتين اثنتين في مستوى الإصبعين الصغير والكبير، بينما تستند القوس الطولانية الكبيرة إلى العقب بشكل إضافي. هكذا تشكّل قدمنا منصّباً ثلاثي القوائم يمتاز بالثبات والاستقرار والمرونة. بيد أن الكثير من الناس يفتقدون اليوم إلى هذا التماس المتوازن المثالي مع الأرض. لا شك في أن وقفة معظمنا مهزوزة، ذلك أننا لم نعد نقف سوى على نقطة أو نقطتين بدلاً من ثلاث نقاط وقوف. من يقف بقدميه الاثنتين على الأرض، ويلامسها بثلاث نقاط في كل قدم، بإمكانه الاستناد إلى قاعدة مضمونة وأمنة والاعتماد على إحساس راسخ بالواقع. أما من ينزلق على سطح عريض فوق الأرض، فيحلو له أيضاً أن يحلّق غريباً عن الواقع ومبتعداً عن الحقائق، وتكون حياته شيء بلا سند، وتقوم، أو بالأحرى تنزلق على قدمين ضعيفتين.

إن انهيار القوس الأمامية الصغيرة (القدم المنفرجة) يحرم الجسر الأمامي من دعائمه ويختصر التماس مع الأرض إلى نقطتين فقط. أما إذا انهارت القوس الطولانية الكبيرة أيضاً، فيدور الكلام في اللغة الشعبية عن القدم البطشاء. تضع مرونة القدم ونقاط وقوفها المتميزة، وينزلق المصابون على سطح الدعس العريض كالمترحلّقين على الجليد تقريباً، من دون أن يجدوا ثباتاً أو سندا. غالباً ما ينعكس هذا في حياة طليقة لا يحدّها قيد، وينقصها التماسّ والجذور. لا شك في أن الموقف السطحي العريض الذي يكاد يُخطّ خطاً، هو موقف غير ثابت، بل هو قابل للتحرك والانزياح بسهولة، وبسبب نمط العيش هذا الذي لا أساس له والغامض غالباً يكره المصابين الالتزام والتقيّد.

يقابل "المترحلّقين على الجليد" الأشخاص ذوو القدمين الثقيلتين وكأنهما ملتصقتان بالأرض التصاقاً، فهم أشخاص يغالون في التشديد على أمان وقوفهم،

ويكادون لا يرفعون أقدامهم أثناء المشي، وقد سبق أن لفتنا المشية المتناقلة في الساقين السمينتين ضعيفتي البنية. يكاد يتعذر على هؤلاء الأشخاص رفع القدمين بالمعنى المجازي أيضاً، وهكذا يعجزون عن تحقيق الكثير في المجالات المحلقة لعالم الأفكار، موطن الخلق والإبداع والتدفق التلقائي، ولكنهم بالمقابل أشخاص موثوقون، ومخلصون، وعقلانيون، وواقعيون. لا يخطئون بسهولة، وقلماً يتغيرون أو ينقلبون. إذا كانت القدمان البطشاون تفتقدان إلى السند، فإن كل شيء في القدمين الثقيلتين ممسوك ومكظوم، فالأصالة والارتباط بالأرض لهما الأسبقية على الحركية. غير أنه إذا أصبحت القدمان ثقيلتين كالرصاص، فإنهما تشدان صاحبهما نحو الأسفل وتحولان دون أي تجوال أو ارتحال إلى آفاق وأبعاد أخرى، والحياة التي تقتصر على أرض الواقع فقط، يمكن أن تكون مملة نوعاً ما. يختلف عن هؤلاء كلياً أولئك الأمراء (الأميرات) الذين يتبخترون على رؤوس أصابعهم في العالم ويحلّقون عالياً في عالم الأحلام أكثر مما يوطنون أنفسهم على منخفضات أرض الواقع. إنهم يرقصون في الحياة أرفع أنواع رقص الباليه. تمثل مشية رؤوس الأصابع التنويع الطبيعي لحذاء الكعب العالي، وتبين قلة رغبة أصحابها في الاتصال بالأرض أو حتى الاستقرار والثابرة، فهم لا يضرّبون جذورهم في أي مكان، وإلا لكان من شأن هذه الأخيرة الإخلال بوجودهم (المصطنع) المستهتر وغير المبالي. يَنمُون الخيال، ويحرصون على العناية به بدلاً من الحسّ الواقعي. لقد اختاروا أحد وجهي العالم القطبي، وهو المرتفعات والأعالي، تاركين المنخفضات والوديان لتقبلي الأقدام. بدلاً من الجذور لديهم أحلام مجنّحة وتوثّب إبداعي وحماسة هائلة ومخيّلة واسعة، إنما يفتقون لأي سند. لذلك فانقلابهم أسهل من تقبلي الأقدام، فلا شيء ثابت في عالم المخلوقات المحلّقة السحري، وكل شيء في حالة جريان وتبدّل. مع ذلك فإن لرقّة هذه المخلوقات السحابية أيضاً جانب الظلّ الخاص بها، والمتمثل في الإهمال بعيد المدى للجانب المادي.

عند القطب المضاد نجد القدمين المخليبتين اللتين ينشبت بهما أصحابهما بسطح الأرض. تلتصق الأصابع المثنية كالمخالب السند بصور تشنجية، وتنطق مثل هاتين القدمين بوجود مهّد، برغبة شديدة في العثور على سند وفي عدم التراخي أو التراجع. ليس أصابع القدمين فقط، بل عضلات الساقين والفخذين غالباً ما تكون مشدودة ومتشنجة بشكل مزمن، وتبوح بموقف متشنج ومتوتّر من الحياة أيضاً. أما القدمان القلقتان فتميطان اللثام عن ميل إلى الجري باستمرار، بل إلى الفرار في الغالب. أصحابهما في حالة تعقّب ومجاردة على الدوام، وكثيراً ما يخفون وراء الدافع الحركي واللهفة ميولاً إلى الهروب أيضاً.

تشير وضعية الاستلقاء الظهري المتطرّفة إلى الاتجاه نفسه، وهي تنتمي إلى نمط من المشية يركّز على العقبين. تشير وقفة العقبين إلى التراجع أمام الحياة وتحمي من الضربات الخلفية والضربات على القفا والانتكاسات. بالمقابل فإن

ممثلي هذا الموقف أسهل انقلاباً من الأمام. على الرغم من أمانهم الخوّاف فهم يميلون إلى السقوط. تكفي ريح عكسية خفيفة لإسقاطهم.

1- مفصل عنق القدم

من يتعرض للانفتال أو الوثي في مفصل عنق القدم (مفصل الوثب) لا يعود بإمكانه القيام بوثبات كبيرة، شأنه شأن هيفايستوس، حدّاد اللاهية، الذي كسر مفصلي عنق القدم معاً حينما رمت به أمه من السماء إلى الأرض، ويات كسيحاً منذ تلك اللحظة، ويحدث ما يشبه هذا لمن يقومون بوثبات كبيرة ثم يهبطون على أرض الواقع بصورة عنيفة، والدعوة هنا واضحة: البقاء على الأرض، وتسلق السلم درجة درجة دوماً. لقد استبعد القدر الوثبات الكبيرة. لا شك في أن الإقعاد والعطالة علاج قاس على من كانوا متحفّزين متوثبين على الدوام. حينما يتعلّمون شقّ طريقهم بمشقة عبر منخفضات الحياة، تبدو لهم كتلة الجيبس حول القدم مثل قيد ثقيل، ولكنها قد تتحوّل أيضاً إلى مرسة تمسكك المصابين وتُقيهم على الأرض وتحوّل دون الوثب الجسدي بعيداً والتغريد خارج السرب. إن الجسد الثابت على الأرض هو بالتحديد ما يمكن أن يكون الأساس المثالي للوثبات والتحليقات الذهنية العالية.

يمثل مفصل عنق القدم الواقع فوق قوس القدم مباشرة، أصل انتصابنا ونهوضنا، ولكن أيضاً أصل إمكانية التمرد والعصيان. لا يمكن للقفز إلى مستوى الآلهة أن يتم إلا هنا، ولكن العثرات والزلات تتأثر لنفسها هنا أيضاً، ففي الكسر ننكسر، وفي الدعسة المعيبة يعيب سلوكنا، وإذا أخطأنا الخطو كنا مخطئين.

أسئلة

- 1- ما هو الدور الذي يؤديه التنظّط وعدم الاستقرار في حياتي؟
- 2- هل أميل إلى التحليقات العالية غير المضمونة في الواقع؟ هل غالباً ما أغفل عند الانطلاق ضرورة الهبوط؟ ما هو موقعي من الحلم والحقيقة؟
- 3- هل أغفل حاجتي إلى الراحة وأنا أحاول انتزاع مكانتي؟
- 4- أين أزلّ، أين أخطئ؟ أين اهتزلت حياتي، أين يلزمها تغيير الاتجاه، أين يلزمها قطع؟

5 أين أميل إلى تجريب الدعسات الناقصة والزلاّت في المجال
الجسدي بدلاً من تجريب سُبل جديدة من ناحية ذهنية؟
6 أين أتمرّد على قدري؟ أين يكون التمرّد جزءاً من قدري؟

تنبثق المهمة التعلّمية عن نتيجة الحادث: يجب على المصابين أن يقرّوا بأنهم أخطؤوا أو بالأحرى أساءوا التصرف، وبأنهم يهبطون، بعد وثباتهم، على نحو قاس وفظّ أكثر مما ينبغي، وبأن الواقع قد زجرهم إثر تحليقاتهم العالية، أو بالأحرى بأن التماس بين عالم الأفكار والواقع يسير بشكل غير متناغم وفي سُبل خطيرة. إنهم مدعون إلى إعفاء جسدهم من المجابهة القاسية والعنيفة مع الواقع، وإلى ضمان وتأمين جولاتهم ووثباتهم بشكل أفضل والهبوط بشكل مرن، واختبار السُّبل الغامضة والمربية والجريئة فكراً قبل المضيّ بها جسدياً، فالأذيات الناجمة عن ذلك ترغمهم على الراحة وتحضرهم إلى الأرض من أقد/مهم. لا بد من الرفق بالجسد وإراحته مع المزيد من المراهنة على الحركية الداخلية والوثبات الذهنية أثناء هذه الراحة الخارجية. ها هو هيفايستوس الكسيح المعوّق في تقدّمه الجسدي يتحوّل إلى المخترع الخلاق، ويغزو مكانه في السماء الذي كان قبل ذلك موضع جدال.

2- الأثقان

تقدّم "العيون" السفلية مناظير مختلفة تماماً عما تقدّمه العيون العليوية، وقد دُعيت مواقع الضغط المزمنة هذه بالألمانية عيون الدجاج نظراً لشبهها بها، وهي تبين بدقة أين يضغط الحذاء.

تبرز في هذا السياق بصفة خاصة الصلة بين الأعلى والأسفل، مثلما تميط عنها اللثام المناطق الانعكاسية. من هنا تشير عيون الدجاج، أو الأثقان التي تظهر في منطقة الأصابع قبل كل شيء، إلى أن ثمة مجالات معينة من الجسم ترزح تحت الضغط. عندما يقف المرء على أصابع قدم أحدهم⁽¹⁾، يتمظهر هذا بمرور

1- بمعنى يدوس على طرفه أو يكرهه أو يجرح مشاعره. - المترجم.

الوقت في مواضع مؤلمة في القدمين، حتى لو كانت الإعاقات الناجمة عن ذلك ذات طبيعة اجتماعية بالدرجة الأولى. لا بل قد يقف المرء على أصابع قدمه بنفسه، وبذلك يقف في طريق نفسه ويكدر نفسه بنفسه، وبالتالي يوقف تقدمه الشخصي. هذه هي الحال بالتأكيد عندما ينتعل المرء عامداً حذاءً ضيقاً على سبيل المثال. في هذه الحالة يسمح المرء، أو بالأحرى المرأة في الغالب، لمثلها الأعلى في الذوق أن يعيق تقدمها الواقعي الملموس.

تتكوّن الأتقان تشريحياً من توضعَات تقرّنية سميكة غايتها الوقاية من الضغط القادم من الخارج. إنها محاولة لتصفيح أو تدريع نقاط الضعف، ولكننا نعرف جميعاً أن هذه الدروع نفسها تتحوّل مع الوقت إلى مصادر للألم. إن من يريد أن يعفي نفسه من كل شيء يكون معرضاً لمكابدة كل شيء. بالتالي فإن الأمر لا يتعلق بالتدريع الجسدي بقدر ما يتعلق بالتفكير في اتخاذ إجراءات نفسية ذهنية للدفاع عن النفس. لا بد للمرء من مجابهة ما يضغط عليه، ثم اتخاذ إجراءات الحلّ المناسبة. في وسع المرء، على سبيل المثال، أن يتخلّى عن الموقف الذي يولّد هذا الحجم من الضغط، أو أن يقوم بتدعيمه بحجج أقوى وأوجه.

أسئلة

- ١- من يدوس على طرفي؟ هل عساي أنا شخصياً؟
 - ٢- أين أصرّ على مواقف معينة على الرغم من بلوعي حدود الألم، ومن أن أحدهم يدوس على طرفي؟
 - ٣- إلى أي حد أصبح خوفي أو بالأحرى سياستي الأمنية مؤلمة وباتت تعيق تقدّمي؟
 - ٤- ما هي مواقع الضغط التي ينبغي لي استبعادها من حياتي؟
 - ٥- أين أصطدم بالحدود بصورة مؤلمة؟
-

3- فطور القدم

تعيش فطور مملكة النبات على المادة العضوية الميتة قبل كل شيء، ولكنها تستوطن الأجزاء الميتة من النباتات الحية أيضاً. إنها طفيليات واضحة ترتع وتتمتع بحياة الغير كما تشاء، ولا تقدّم له شيئاً بالمقابل، وقد حرّمت أكلها جماعات روحية مختلفة جراء سمعتها السيئة هذه. أما في مملكة الحيوان والإنسان فإن الفطور، وإن كانت تستوطن البنى الحية، إلا أن هذه الأخيرة تكون مُضعفة مسبقاً وفي طريقها إلى الموت تنكّسياً. تبدو الفطور وكأنها نُذر الموت ذلك أن بإمكانها عملياً أن تغزو كل مكان تتخلّى فيه الأنسجة عن معركة الحياة. إن جميع الكائنات الحية الدقيقة التي نصاب بها تحتاج إلى شروط مواتية ونقص في القدرة على الدفاع، ولا تغدو بنية ما جاهزة لانقضاء الغزاة عليها إلا عندما تسحب العضوية طاقتها منها، وذلك بحذف الموضوع الذي تمثله هذه البنية في الوعي. إذا كانت أدق الكائنات الحية، الفيروسات، تتخذ قرار الغزو بصورة حادة في الغالب، فإن الجراثيم تراهن على سلوك حاد، ولكنه خفي وسلال، كما تعرف أيضاً ما يُسمى التعايش التكافلي السلمي، كالجراثيم المعوية مثلاً. أما الفطور، وبغض النظر عن حالات الانهيار التام في دفاع الجسم، فتميل إلى شنّ هجماتها ببطء وبشكل تدريجي، وتستولي فيها على الأراضي شيئاً فشيئاً، من دون أن تهدّد حياة مضيفها جدياً. هي لا تسبّب الموت، ولكنها تعلن (للمنطقة المصابة) عن قدومه.

يُعد فطر القدم بحد ذاته طفيلي بريء وغير ضار، فهو لا يثير الألم ويكاد لا يسبّب أي إعاقة، ومع ذلك يدفع الكثيرين دفعاً إلى حافة اليأس. تستوطن هذه الكائنات الغريبة أظافرنا أو مخالبنا بالتحديد، وتبين لنا مدى استخفافها بأسلحتنا. لعل بإمكان المقارنة التالية من العالم الأكبر أن توضح هذا المأزق. واقع الحال كما لو أن إحدى العصابات غير المؤذية من حيث تسليحها أغارت على بلد ما،

ونشرت فيها ثكناتها العسكرية، وبواسطة تطقلها ومظهرها الخارجي المزج للغاية تستولي على أنظمة التسليح وتفسدها بشكل بطيء ومتواصل، بحيث لا يعود أي عدو يحترمها أو يقيم وزناً لها.

لا شك في أن الحقيقة التي مفادها أن الفطور لا تتجراً إلا على مناطق تلفظ أنفاسها الأخيرة، تسلط ضوءاً خاصاً على وضع الأظافر الموافق، فهي أظافر قريبة من الموت أو في أقصى درجات انعدام الحيوية، ولذلك تقدّم تربة خصبة لهؤلاء المتطقلين. ما إن تضرب الفطور جذورها حتى تتصف بأقصى درجات العناد، وترفض الجلاء حتى مع استخدام المدفعية الثقيلة ضدها، كمضادات الفطور الكيميائية. صحيح أنه يسهل إجبارها على الانسحاب التكتيكي، ولكن ما إن تضعف الهجمات عليها، حتى تتقدّم مجدداً وتشوش على السلام النفسي للمصاب، كاشفة في الوقت نفسه مدى استعدادها للانزعاج والمضايقة. تتغذى الفطور على الأظافر ملتهمّة إياها بكل هدوء قطعة قطعة. إن هذا الأسباب العدائي السلال الذي نقف أمامه عاجزين ومغلوب على أمرنا، هو الذي يمعن في إغائتنا قبل كل شيء. أضف أن الأسلحة المنخورة والمتآكلة بهذا الشكل قبيحة المنظر ومخجلة. إذ سرعان ما تفقد لمعانها وملاستها، وتنشأ حالة مأزقية بشعة بين الأظافر والمتطقلين، وما يأتي عليه الأخيرون قطعة قطعة، يعوضه الأولون قطعة قطعة. بذلك يصبح الظفر المتنازع عليه أسمك وأقل انتظاماً وتناسقاً وانسيابية، ويذكرنا بنصل تم شخذه مرات لا تُحصى وبات مكلوماً حافلاً بالأثلام، ولا تنتهي القصة إذا ما غالت الفطور وسقط الظفر أو اقتلعه صاحبه؛ فما دام الوضع الأساسي قائماً، فإن التحدي المتزايد التافه يعود ويتكرر.

أخيراً تؤدي القذارة دورها هنا أيضاً، ففي الكثير من الأديان يتم غسل القدمين رمزياً، إذ إن القدمين النظيفتين ترمزان إلى علاقة نظيفة بأساس الوجود والكينونة الخاصة، بالمستقبل والماضي. تُظهر فطور القدم أن الاتصال بأمان الأرض، وبالتالي بالعالم بالطلق، ليس اتصالاً نظيفاً. يُوجّه أخصا القدم في جلسة اللوتس التأملية نحو الأعلى كرمز للتوجه الكلي نحو العالم الروحي، وفي مثل هذه الحالة تكون فطور القدم أو التاليل الأخصوية مزعجة بقدر ما هي صادقة.

تنص المهمة على ما يلي: تقويض الأسلحة وتخفيض الدفاع، ولكن هذا ينبغي أن يتم في الوعي، فإذا قام الجانب النفسي الذهني بتخفيف العبء عن الجسد، أمكن لهذا الأخير أن يعيد إنتاج أسلحته المصابة والمدمرة وأن يستعيد المناطق المفقودة. على غرار جميع الأحماج التي تترافق مع غزو قوات أجنبية، يكون الدفاع النفسي الذهني أكبر مما ينبغي، مما يُضعف الدفاع الجسدي. يريد مبدأ العدوان الهجوم أن يُعاش بوعي، وهو هنا، في الأحماج الفطرية، مبدأ الاعتداء الحميد الأقل حدة. تدعو الفطور مثلها مثل العوامل الممرضة كافة إلى الدفاع عن النفس. تحرك فطور القدم المرء وتدفعه إلى الاهتمام بأسلحته وأدواته

وإيلائها العناية وتركها تنبت من جديد. يتضح هذا بصورة ملموسة في الأظافر المتسمكة الخشنة. ينبغي أن ينصبّ الدفاع على الحدود الخاصة بشكل أساسي. من يمتعض من الطفيليين والمتطفّلين، يكون لديه مشكلة مع هذا الموضوع، ويكبت هو نفسه ملامح ذات صلة، ولا بد من العثور على هذه الأخيرة وجعلها واعية. تنص المهمة على الانخراط في الحياة، لا بل التشبّث بها بالأظافر عند الضرورة والمحافظة على الحيوية حتى آخر الحدود.

أسئلة

- 1- أين يكمن صراع الدفاع عن النفس المتورّم وغير المقرّ به في الوعي؟
 - 2- فيم يفوتني إظهار مخالبي الذهنية والتشبّث؟ ماهي المنطقة الحدودية التي تركتها بوراً وأهملتها؟
 - 3- إذا كنت أخجل بمخالبي الجسدية المنخورة والمتأكلة، فإلى أي أحد أخجل بتلك الذهنية؟
 - 4- لماذا تلفظ حيوية أظافري أنفاسها الأخيرة؟
 - 5- من يتطّقل في حياتي وعلى حياتي؟ أين أتطّقل أنا؟
-
-

4- الثآليل الأخصوية

شأنها شأن الفطور لا تمثل الثآليل أي تهديد جسدي، ولكنها قد تكون في غاية التهديد والخطورة من الناحية النفسية. الثآليل في القدم، لا سيما في أخص القدم، مزعجة جداً. غير أن خطورتها الكبيرة تنجم عن غموض منشئها. على غرار الأفاعي والعناكب التي لا تمثل أي خطر على الحياة، ولكن الكثيرين يعيشونها على أنها في غاية الخطورة بناءً على رمزيتها الموافقة؛ يكمن رعب الثآليل في غناها الرمزي، فالثؤلول السميك القبيح، وربما المشعر فوق ذلك، هو رمز وصفي للساحرة الشريرة في الحكايات، هو نتوء من الجحيم أو بالأحرى من القوى المظلمة. لا شك في أن مثل هذا الثؤلول قادر على إخراج حتى الأشخاص العقلانيين عن طورهم، إذا ما استوطن أنفهم. على الرغم من عدم خطورته، ومن أن أحداً لن يؤاخذ صاحبه عليه، يشعر أعقل المعاصرين بأنه شيء يُفسّر، في مستوى أعمق، على محمل السوء، ذلك أنه يشير في عالم النماذج الأولية إلى السوء. حتى إنه لا يمكن للمرء الركون إلى أنه شيء يستوطنه قادماً من الخارج، فهو يصعد من داخل المصاب بكل جلاء كنتوء تافه وضعيع، ومن يصاب بالثآليل بشكل دائم يستثير هذه التدايعيات بدءاً من الخنزير الثؤلولي، مروراً بالضفدع الكبير، وصولاً إلى الساحرة الشريرة.

هناك أساليب علاجية مختلفة من شأنها أن تلقي المزيد من الضوء على معنى الثآليل. تتصف المحاولات الطبية التي تراهن على العنف الفجّ، بدءاً من الكيّ الكيميائي، مروراً بالحرق، وصولاً إلى القطع، بمعدّلات فشل عالية. على الرغم من استئصال الثؤلول بالكامل، غالباً ما يظهر مجدداً في الموضع ذاته ومع الرسالة ذاتها القادمة من مملكة الظلّ المظلمة. أما طرائق الطب الشعبي فهي أكثر تنوعاً ونجاحاً، وهي طرائق تتشابه جميعاً في مرتكزها السحري. تُسحر الثآليل ليلاً والقمر بدر، أو يُصلّى أو يُقرأ عليها لتختفي، كما يُعزّم عليها بشتى الرقى والتعاويد، وتُسحر بوضع اليد أو غيره من الطقوس الصغيرة، وكل ذلك قد يعطي

النتيجة المتوخاة. كما يمكن شراؤها أحياناً بمبلغ مناسب عند الأطفال، وهم الذين لا يزال لديهم صلة بالخاصية السحرية للنقود.

تضعنا التآليل وجهاً لوجه مع جوانبنا المظلمة الخاصة، لذلك فهي تستجيب بشكل جيد للمعالجات الغيبية المناسبة، وإذا كانت صور مرضية أخرى تستجيب للتعزيم ولمس اليد، فإن هذا يبين كم كان الطب القديم بمجمله طباً سحرياً. حسب المرء أن يسأل نفسه علام تشوّش التآليل وما الذي تعيقه أو تحول دونه، ليحصل على دلائل قاطعة على معناها الفردي. إنها تحول في الغالب دون المظهر النقي والصافي الذي لا تشوبه شائبة، وهي تلك الشائبة المقروءة في الوجه، والتي تزعج بصورة شديدة. أما في تآليل أخصم القدم فلا بد من طرح سؤال إضافي: إلى أي حد يدوس المرء على الأمور الغيبية عن غير وعي ولا يعترف بها في معناها، على الرغم من أنها تنبّه إلى حضورها في كل روحة وغدوة. يكمن الحلّ في النهاية في صيرورة الوعي. من هنا نجد أن ما يرافق الطقوس السحرية من اعتراف بجانب الظلّ يفوق الطرائق الكفاحية العنيفة. لا شك في أن مبدأ الهوميوباتي (المعالجة بالمثل) الذي يعالج المظلم الغامض بطرائق مظلمة غامضة، هو أكثر نجاحاً ونتيجته أكثر ديمومةً من المكافحة الألوباتية للرسالة القادمة من أعماق المرء.

أسئلة

- ١ إلى أي حد يزعجني أو يعيقني الثؤلؤل؟ ألا يمكنني الوقوف والمشي من غير ألم؟ أم أنه يشوّهني ويقبّطني، أو بالأحرى يُبرز في ما لا أريد أن أراه ولا ينبغي للآخرين قبل كل شيء أن يروه؟
- ٢ ما الذي كنت أخفيه حينما ظهر الثؤلؤل؟
- ٣ ما هو الدور الذي يؤديه الحوار مع الجوانب المظلمة من حياتي؟
- ٤ هل أنا على وعي بالجانب الغيبي من وجودي؟